دكتور بهاء الأمير

جوته والإسلام والماسونية



السؤال

Anti NWO

كيف يا دكتور يمدح غوته في الاسلام وهو ماسوني؟ أرجو أن تفسروا لنا هذه المفارقة، بارك الله فيكم.

الإجابة

دكتور بهاء الأمير

(١)

جوته والإسلام

جوته لم يمدح الإسلام فقط، بل استلهم فهمه لمسألة الألوهية وعلاقة الإله بالوجود من الإسلام، وكان يهيم بالقرآن والنبي عليه الصلاة والسلام.

وأكثر ما جذب جوته في الإسلام عقيدة توحيد الإله ووحدانيته، والتسليم المطلق له والرضا بأقداره، واستيعاب القرآن والإسلام للديانات السابقة عليه وقبوله بوجودها وإفساحه لها، وأن الرسالات فيه واحدة في أصلها، وأن جميع الانبياء بشر وإخوة متساوون، ومهمتهم التبليغ عن الإله الواحد.

وفي الحقيقة كان جوته مسلماً بالعقيدة والفهم وعن دراسة عميقة للقرآن واقتناع بالإسلام، وقد بدأت رحلته مع الإسلام مبكراً وهو في بداية شبابه حين اطلع على كتاب عن الإسلام في مكتبة أبيه، ثم ظل طوال حياته يدرس الإسلام ويقرأ كل ما يقع عليه من ترجمات القرآن والمؤلفات التي كتبها المستشرقون عن النبي وسيرته، وساعده على ذلك أنه كان المشرف على مكتبات دوقية فيمار Weimar، ومنها مكتبة لايبزج Eipzeg، وهي وجامعتها إحدى أكبر مراكز الاستشراق في أوروبا.

وقد صرح جوته نفسه بأنه مسلم في أقواله وفي أكثر من عمل من أعماله، ففي البيان الذي أعلن فيه صدور ديوانه الشهير: الديوان الشرقي للمؤلف الغربي، نص على أنه:

"**لا يكره أن يقال عنه أنه مسلم**".

ويقول في إحدى رباعيات كتاب الحكم من الديوان الشرقي:

"**من حماقة الإنسان في دنياه أن يتعصب كل منا لما يراه، وإذا كان الإسلام معناه أن لله التسليم، فعلى الإسلام نحيا ونموت أجمعين**".

وفي يوم ميلاده السبعين أعلن أمام أصدقائه أنه سيحتفل بالليلة المقدسة التي أنزل فيها القرآن على النبي.

وتمتلئ مسرحيات جوته وأشعاره بالعبارات التي تفيض بالعقائد والمعاني الإسلامية وتمجيد النبي عليه الصلاة والسلام، بل وضمنها عبارات

مقتبسة نصاً من القرآن، ومن أمثلة اقتباساته من القرآن في ديوانه الشرقي الذي يتخيل نفسه فيه رحالة يجوب الشرق ويصف مايراه فيه، الرباعية التي يقول فيها:

"**لله المشرق لله المغرب، والأرض شمالاً والأرض جنوباً تسكن آمنة ما بين يديه**".

وعن التوحيد يقول في الكتاب الذي خصصه للفاتح محمود الغزنوي من الديوان الشرقي:

"**والإيمان بالله الواحد يسمو بالروح دائماً، لأنه يرد الإنسان إلى وحدة ذاته**".

وفي قصيدة أيتها الطفلة الرقيقة، يخاطب الطفلة، بعد أن وصف لها علاقة إبراهيم وداوود عليهما السلام بالإله الواحد، فيقول:

"**ويسوع كان طاهر الشعور ولم يؤمن في أعماقه إلا بالله الواحد الأحد، ومن جعل منه إلهاً فقد أساء إليه وخالف إرادته المقدسة، وهكذا فإن الحق هو ما نادى به محمد وبفكرة(عقيدة) الله الواحد الأحد ساد الدنيا بأسرها**".

ويحفل الديوان الشرقي بأشعار فيها التسليم لقضاء الله والرضا بأقداره، ولكن ثمة عبارة لجوته يصرح فيها بعقيدته في التسليم بقدر الله وقضائه،

وقد جاءت في رسالة أرسلها سنة ١٨٠٧م إلى صديقه فريدريش ريمر Friedrich Riemer، ويقول فيها:

"إن ما لا يأخذه البشر وهم في غمرة مشاكلهم في الحسبان، ويطلقون عليه بعد ذلك اسم المصادفة، هو في الحقيقة قضاء الله وتقديره، فهو الذي قضى وقدر بصورة مباشرة، مفصحاً عن قوته وجلاله حتى في أصغر الأمور وأهونها شأناً".

وأما النبي عليه الصلاة والسلام فقد ألف جوته مسرحية شعرية غنائية عنه وسماها: تراجيديا محمد، ووضع في بدايتها مناجاة أو أنشودة على لسان النبي يخاطب الله عز وجل ويبتهل إليه، وضَمَّن المسرحية حواراً بين علي بن أبي طالب وفاطمة بنت النبي، ويصف فيه جوته النبي على لسانهما، فيقول في بدايته على لسان علي:

"انظروا إلى السيل العارم القوي، قد انحدر من الجبل الشامخ العلي، أبلج متألقاً كأنه الكوكب الدري".

ويقول في نهاية الحوار مردداً على لسان علي وفاطمة:

"خذنا معك إلى البحر المحيط الأزلي الذي ينتظرنا باسطاً ذراعيه، خذنا معك، خذنا معك".

(٢)

جوته والماسونية

انتسب جوته للماسونية وهو في الثلاثين من عمره، والسبب الرئيسي في دخوله في الماسونية أن دوق فَيمار، كارل أوجستس Carl Augustus، كان ماسونياً وراعي الماسونية في دوقيته، وجوته من فرانكفورت وقدم إلى فَيمار واستقر فيها بدعوة من الدوق نفسه، وكان يشمله برعايته وعطفه واتخذه صديقاً له، والمحفل الذي انتسب إليه جوته هو محفل أماليا Amalia Lodge، ويحمل اسم كونتيسة فَيمار: أنَّا أماليا Anna Amalia، ورجال البلاط والطبقات العليا في فيمار كانوا جميعاً من الماسون.

وبعد عودته من رحلة رافق فيها الدوق في أواخر سنة ١٧٩٩م تقدم جوته نفسه بالتماس إلى الأستاذ الأعظم لمحفل أماليا، البارون جاكوب فريدريش فون فريتش Jakob Friedrich Von Fritsch، حدثه فيه عن رحلته مع الدوق ورغبته في قبول انضمامه للماسونية.

وفي يوم عيد القديس يوحنا، ٢٣ يونيو سنة ١٧٨٠م، تم تكريس جوته في درجة الصبي أو المبتدئ Apprentice، في محفل أماليا، وهو يتبع طقس المحاكاة التامة لفرسان الهيكل Strict Observance، الذي أسسه البارون كارل فون هَند Carl Von Hund، في خمسينيات القرن الثامن عشر.

وفي شهر مارس سنة ١٨٨١م أرسل جوته التماساً آخر إلى الأستاذ الأعظم البارون فون فريتش، يطلب الترقي إلى درجة أعلى في الماسونية لأنه يرغب في التعرف على مبادئها وأفكارها أكثر، وتم تكريس جوته في درجة رفيق المهنة Fellow Craft، في يوم عيد القديس يوحنا من سنة ١٨٨١م، رغم أن لوائح طقس المحاكاة التامة، ومذاهب الماسونية عموماً، تشترط أن يظل المنتسب ثلاث سنوات في درجة المبتدئ قبل أن ينتقل إلى الدرجة التي تليها.

وفي يوم ٣ مارس ١٨٨٢م تم ترقية جوته إلى الدرجة الثالثة، درجة الأستاذ Master، وفي السنة نفسها منحه المحفل بقية درجات طقس المحاكاة التامة كلها معاً، وهي درجة الاستاذ الاسكتلندي Scottish Master، والراهب Novice، وفارس الهيكل Templar.

وفي السنة نفسها أيضاً دبت الخلافات بين قادة طقس المحاكاة التامة، وتوقف نشاط محافله في ألمانيا كلها، وأُغلق محفل أماليا وظل مغلقاً ٢٦ سنة.

وفي سنة ١٨٠٦م، قام الأستاذ الأعظم لمحفل هامبورج، فريدريش لودفيج شرودر Frederich Ludwig Schroeder، بحركة إصلاح ماسونية لتوحيد مذاهبها ومحافلها في ألمانيا، وزار فَيمار والتقى الدوق كارل أوجستس، وأقنعه بإعادة نشاط محفل أماليا ودمجه في النظام الماسوني الذي أسسه شرودر، ويتبع الطقس الاسكتلندي، فعاد المحفل سنة ١٨٠٨م للعمل، بأعضائه القدامى، ومنهم جوته، ولكن جوته كان قد

ذاع صيته في أوروبا كلها، وصار من أبرز أعلامها وأشهر شعرائها وأدبائها، فصار انتسابه للمحفل انتساباً رمزياً، ولم يعد يحضر اجتماعاته أو يشترك في أنشطته.

وفي يوم ٥ أكتوبر سنة ١٨١٢م كتب جوته رسالة إلى الأستاذ الأعظم الجديد للمحفل، البارون فون ريدل Von Ridel، يرد فيها على رسالته التي يسأله فيها عن أسباب تغيبه، ويعتذر عن الحضور للمحفل ويطلب إعفاءه من مناصبه ومسؤولياته فيه، وينسحب من الماسونية كلها، فيقول جوته في رسالته إلى فون ريدل:

"أرجو منكم أن تسديني معروفاً بأن تتقبل عدم حضوري المتكرر، وأن تعتبره اعتذاراً عن التزاماتي تجاه المحفل، ولا أرغب في أن أقطع روابطي مع هذه الجمعية الموقرة، ولكن قد أصبح من المستحيل بالنسبة لي أن أواظب على الحضور إلى المحفل بانتظام، ولا أريد أن أكون بغيابي المتكرر مثالاً سيئاً للآخرين، ولذا أرجو أن تقبلوا اعتذاري".

(٣)

جوته والإسلام والماسونية

من سيرة جوته في الماسونية يستبين أنه لم يكن ماسونياً حقيقياً، والماسوني الحقيقي ليس من انتسب لأحد المحافل الماسونية، أو ورد اسمه في سجلاتها، كما يتوهم البعض، بل هو الذي سار وترقى فيها وكان

تكوينه وفهمه للوجود والحياة وأفكاره وغاياته وسلوكه من آثار هذه المسيرة في الماسونية.

وجوته لم يكن ماسونياً حقيقياً لأسباب عديدة، أولها: أن انتسابه للماسونية وعلاقته بمحفل أماليا تنحصر بين سنة ١٧٨٠م وسنة ١٧٨٢م، أي سنتين أو ثلاث سنوات، وكانت في بداية حياته، وهو بين الثلاثين والثالثة والثلاثين، وبعد ذلك لم يكن له علاقة بالماسونية ومحافلها، وحين عاد محفل أماليا للعمل لم يعد إليه ولم يشترك في أنشطته.

أما علاقة جوته بالإسلام فعلاقة طويلة مستديمة استغرقت عمره كله، فبدأت وهو في العشرينيات من عمره وازدادت نضجاً ورسوخاً مع الزمن، وبلغت أوجها في الديوان الشرقي الذي كتب أولى قصائده سنة ١٨١٤م، وجوته في الرابعة والستين من عمره، وبعد إغلاق محفل أماليا وابتعاد جوته عن الماسونية بـ ٣٢ سنة، وبعد رسالة انسحابه الرسمي من محلف أماليا والماسونية كلها بسنتين.

وثانياً: طقس المحاكاة التامة لفرسان الهيكل الذي انتسب إليه جوته كان مذهباً عشوائياً لا يتبع أياً من مذاهب الماسونية الكبرى والتاريخية، ولم يدم طقس المحاكاة التامة سوى ثلاثين سنة تقريباً ثم انتهى ولم يعد له وجود، فقد أسسه البارون فون هَند في خمسينيات القرن الثامن عشر، ومات فون هند سنة ١٧٧٦م، وبعده خمل الطقس ومحافله ثم دبت الخلافات بين خلفاء هند، فتوقف تماماً، إلى أن أحيا فريدريش شرودر محافله ودمجها في الطقس الاسكتلندي.

وثالثاً: الدرجات الثلاث الأولى في طقس المحاكاة التامة درجات مشتركة بين جميع مذاهب الماسونية، وتسمى بالدرجات الرمزية، أو مرتبة المحافل الزرقاء، وهذه المرتبة الرمزية هي التي يحشد فيها الماسون البشر في المجتمعات من كل صنف ولون، ببريق شعارات الحرية والإنسانية والمساواة والإخاء بين جميع البشر، من أجل أن يكونوا غلافاً بريئاً لها، ولكي يكون النابهون والأعلام منهم أداة لجذب غيرهم، ومن أجل استكشاف هؤلاء الكتل وتمييز من هو مؤهل لأن يعاد تكوينه في الماسونية ويكون محضناً لأفكارها وغايتها، فيتم فتح الطريق له للترقي إلى الدرجات العليا التي بعد درجات المرتبة الرمزية.

رابعاً: صعود جوته في الدرجات التي تلي المرتبة الرمزية من طقس المحاكاة التامة لم يكن أيضاً صعوداً حقيقياً، لأنه تم منحه الدرجة الثالثة في المرتبة الرمزية والدرجات التي تليها كلها معاً في سنة واحدة، وحرق الدرجات ومنحها هكذا مرة واحدة لا يعني أن من حصل عليها ماسونياً، بل يعني شيئاً آخر، لأن المسألة ليست في مجرد الحصول على الدرجات، بل في تكوين ذهن الصاعد في سلم الماسونية ونفسه خطوة خطوة، عبر تعريفه بأسرار كل درجة وطقوسها ورموزها، وتعليمه معانيها وفلسفتها وغايتها، وتربيته على ذلك كله.

والشيء الآخر الذي يقوم الماسون بحرق الدرجات ومنحها مرة واحدة من أجله هو أحد أمرين أو حالتين، الحالة الأولى أن يكون الشخص الذي يتم منحه الدرجات جملة واحدة من الأعلام البارزة والمؤثرة في المجتمع، فيمنح الدرجات كلها ليكون ذلك وسيلة لاستقطابه وامتصاصه، أو ليكون

انتسابه ودرجته في الماسونية غلافاً براقاً لها وأداة لكسب الصيت وجذب غيره.

وأشهر شخص فعل الماسون معه ذلك وحرقوا له درجات الماسونية هو الصناعي والرأسمالي الأمريكي هنري فورد، فقد حصل على الدرجات الرمزية الثلاث وهو في الثلاثين من عمره، ولم يعبرها إلى الدرجات التالية سبعاً وأربعين سنة، ولكن وهو في السابعة والسبعين من عمره، وبعد أن ذاع صيته وصار أحد أشهر رجال الصناعة في الولايات المتحدة، منحه محفل ميتشجان الأعظم درجات الطقس الاسكتلندي جميعها، من الدرجة الرابعة إلى الدرجة الثالثة والثلاثين، في جلسة واحدة!

وجوته تم تصعيده في محفل فَيمار ومُنحت له الدرجات مرة واحدة دون أن يمر بها حقاً بسبب صلته وصداقته بدوق فَيمار راعي المحفل والماسونية كلها في دوقيته.

والحالة الثانية التي يحرق فيها الماسون الدرجات بهذه الطريقة، حالة طريفة، وهي أن يشتبهوا في أن شخصاً ما مدسوس عليهم من جهات الأمن أو أنه من طرف السلطة التي يناوئونها، فحيئذ يتم حرق الدرجات ويمنحونه إياها دفعة واحدة لكي يكون اسمه ماسونياً وحاملاً للدرجة الثالثة والثلاثين دون أن يعرف شيئاً عن الدرجات وما يجري فيها، ودون أن يطلع على حقائق الماسونية وخفاياها، وهي طريقة كانت تتبعها محافل الشرق الأعظم الفرنسي مع من تشتبه في انتمائهم إلى البوليس الفرنسي في القرن التاسع عشر.

وفي تقديرنا أن اتجاه جوته إلى الإسلام وافتتانه بالقرآن وسريان عقائده عن التوحيد والتسليم والأقدار في نفسه، وتولهه بالنبي عليه الصلاة والسلام، كان أحد الآثار الجانبية للماسونية.

والمسألة هنا لا تنحصر في المحافل والانتساب لها، بل في المناخ العام الذي أشاعته الماسونية في الآداب والفنون في أوروبا، فالأفكار التي نشرتها الماسونية في أوروبا وتغلغلت في أنسجتها الثقافية والاجتماعية خلال القرنين السابقين لجوته، هي نفسها الأفكار التي تضخها في رؤوس من تحشدهم في محافل الدرجات الرمزية وتبثها في نفوسهم.

وصلب هذه الأفكار حرية التفكير والاعتقاد، والمساواة بين الديانات والاعتقادات جميعها، وهدف الماسونية الخبئ في باطن هذه الأفكار البراقة كان توجيه طعنات للكنيسة لإزاحتها من موقعها في الغرب واحتلال مكانها، وزعزعة المسيحية، وتحريض عموم الناس في أوروبا على الخروج عليها، وإزاحة مسألة الألوهية من نفوسهم، ودفعهم نحو الفلسفة والعلمنة والديانات الوثنية والاعتقادات الباطنية.

وما حدث في حالة جوته أنه ابتعد بسبب أفكار الماسونية وانتسابه لمحافلها وبسبب المناخ العام الذي أشاعته في أوروبا عن المسيحية، ولكنه لم يتجه إلى ما تريده الماسونية كغيره، بل اتجاه إلى الإسلام، وكان خلف اتجاهه هذا عاملان، الأول هو ما قدرته له الأقدار من احتكاك بالقرآن والكتب التي ألفها المستشرقون عن الإسلام ونبيه.

والعامل الثاني، وهو الأول في الحقيقة، هو تكوين جوته نفسه، فقد كان ذا فطرة نقية ويبحث عن الحق، ولا يستسيغ الأفكار ويتوافق معها لمجرد شيوعها وقبول غيره بها، ومع دراسته للإسلام طالع الديانات الأخرى الكتابية منها وغير الكتابية، وتعلم الإنجليزية والفرنسية والإيطالية والعبرية، وموقفه من الإسلام والقرآن والنبي كان لأن الإسلام وافق فطرته، ووصل إليه بعد معاناة روحية عميقة وقلق نفسي كبير، على مدى سنوات طويلة، كان خلالها في شك وحيرة، حتى أرسل في مرة رسالة إلى صديقه المستشرق الألماني يوهان هردر Johann Herder، وكان هردر من المعجبين هو أيضاً بالقرآن والنبي، يقول له فيها:

"إني أرغب في أن أدعو الله كما دعاه موسى في القرآن: "رب اشرح لي صدري".

(٤)

شروط الباحث في الماسونية

قصة جوته مع الإسلام وسيرته في الماسونية، والتباس هذه بتلك، تستوجب أن أكرر ما قلته من قبل في مناسبات عديدة، وهو أن البحث في الماسونية وعمن انتسبوا إليها لابد له من مواصفات خاصة في الباحث، أولها وأهمها أن يكون البحث طلباً للحق وبحثاً عن الحقيقة لا من أجل الإثارة أو الشهرة أو جني المال، أو لكي يبدو الباحث من المطلعين على بواطن الأمور، أو لتصفية الحسابات وطعن الخصوم.

وثانيها: النزاهة والإنصاف، وليس التنقيب عن أي شيء لنرمي به من نخالفه وفقط، كما يشيع في بلاليص ستان.

وثالثها: الجلد والصبر، ورابعها: الدقة والتحري، من أجل التمييز بين الماسوني الحقيقي الذي ترقى في الماسونية وصعد سلمها وتكون بها وصار يرى العالم والحياة ويفهمها من خلالها ويسعى في تحقيق غاياتها وهو يدرك مما اطلع عليه حقيقتها وما تخفيه عن عموم البشر، وبين من كان انتسابه لها عابراً من أجل المنافع والمصالح، أو بسبب الفضول وحب الاستطلاع، أو لأن شعاراتها البراقة عن الحرية والإنسانية أغوته وغررت به، ولم يتعد هذه المرتبة.

(٥)

الإليوميناتي والنبي

بالمناسبة، ولأن الشيء بالشيء يذكر، فهناك من قادة الماسون ورجال الحركات السرية الحقيقيين من يعلمون الإسلام ومنزلة القرآن وقدر النبي والتحول الهائل الذي أحدثه في مسار البشرية، والإنجاز الجبار الذي ينفرد به عن بقية البشر، حتى استحق أن يكون على رأس أعاظم الرجال في تاريخ البشرية بالمقاييس الدينية والدنيوية معاً.

وقد وقع خلاف بين مؤسس منظمة الإليوميناتي وأستاذها الأعظم آدم فيسهاوبت Adam Weishaupt، وبين صديقه والرجل الثاني في

المنظمة البارون فون كنيجه Von Knegge، فأرسل فون كنيجه عدة رسائل إلى صديقهما الثالث والأمين على وثائق المنظمة لورنزو تسفاك Lorenzo Zwack، يشكو فيها إليه فيسهاوبت، وإحدى هذه الرسائل افتتحها فون كنيجه بهذه العبارة شديدة الغرابة:

"من يعتقد نفسه؟ إنه ليس محمداً"!

وعبارة فون كنيجه تعني أنه يعرف الفرق بين صديقه آدم فيسهاوبت وأفكاره ومنظمته، وبين النبي ورسالته وما فعله، وأنه يدرك عن يقين أن النبي حق وأن صديقه هو الباطل.

دكتور بهاء الأمير

القاهرة

٢٢ رمضان ١٤٤٠هـ/٢٧ مايو ٢٠١٩م